

آيات ١٠ في حماية الكائن الحي لنفسه



قال تعالى: (وَكَأَيْنَ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْلَمُونَ عَذْهَـا وَهُمْ عَذْهَـا مُعْرِضُونَ) (يوسف/ 105).

وقال الله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ فَقَدْ يَرُ) (الشورى/ 29). قال الله تعالى: (وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبْثُثُ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) (الجاثية/ 4). يا من دل على ذاته بذاته وتنزه عن مجانية مخلوقاته. إنّ حقيقة وجود الله لا تحتاج إلى من يدعمها بالبراهين والحجج فهي حجج ساطعة سطوع الشمس، من تلك الأشياء المحيرة للعقل والبراهين المذهلة عجيبة حماية الكائنات لأنفسها، إن حماية الجسم البشري لنفسه عجيبة من عجائب صنع الباري سبحانه. ويقول الدكتور "والتر كان" (العالم الفسيولوجي): "أزّه لو أنك عرفت كثيراً من أسرار الجسم البشري، لعجبت كيف يمرض أحد من الناس: ففي داخل الجسم دنيا قائمة تتصرف بإلهام واضح في دفع المرض، بل المحافظة على صحة الكائن بما يعجز عنه أي طبيب. ويقرر الأطباء أنهم في علاجهم، إنما يحاولون تقليد ما يجري داخل الإنسان نفسه، وأنّ العقاقير التي يصفونها إنما لمساعدة الداخل فيما يقوم

به... دون أن يكون للإنسان أي فضل فيه بل حتى معرفته!!! وإذا كان الإنسان يعتبر أوضاع الأمثلة لذلك، على ما يقوم به حماية نفسها خارجياً، بالحرب والسعى والفكر والكر، والعمل والراحة، وأخذ الدواء - وداخلياً حيث لا دخل له - بارتفاع الحرارة، وتكون الأجسام المضادة، وهجوم كريات الدم، فإنَّ الحيوان ليعبر أيضاً من أروع الأمثلة التي تظهر لنا بوضوح قوة ما تتخذه الحياة في حماية الحيوان؟ يقول الدكتور (أرشبيولد تلوج) إنَّه بينما كان يمر ومه أحد الحيوانات الوحشية التي استأنسها، جرح سلك شائك ذلك الحيوان في جنبه جرحاً غائراً، فسارع الدكتور إلى غسل الجرح بمطهر وربطه بالضمادات، وما هي إلا برهة، حتى وجد الحيوان قد نزع الضمادات وألقاها، وجعل يعلق الجرح برفق حتى يبعد الشعر الذي يغطي الجرح، وتركه معرضاً للهواء والشمس. وظل الحيوان يتبعه جرحة، حتى برء. ويقول هذا الدكتور أيضاً، أن قدماء الهنود الحمر وأسلافنا قد اهتدوا إلى معرفة أصول الطب، بمراقبة الحيوانات وهي تسعى إلى النبات الذي تتناوله من جرح، أو حمى أو سوء هضم، وبملاحظتهم الدب الذي أصابه المرض وهو ينبعش الأرض باحثاً عن جذور نبات (السرخس)، وبرؤيتهم الذئب الذي لدغته الحية وهو يسع إلى مضغ جذور (اللوف العطري)، مضغ الواشق من الشفاء به. وعرف عن الحيوانات والطيور، أنها تأخذ مكاناً ظليلاً بارداً طلق الهواء قريباً من الماء، إذا أصابته الحمى، بينما تأخذ لها مكاناً شرقياً دافئاً تسطع فيه الشمس إذا ما أصابها البرد. كما لوحظ عنها أيضاً أنها إذا أصابها شعور بفساد ما أكلته أو إذا أقتضى أمر شفائها إخراج ما بجسدها عمدت إلى نباتات مسهلة تعرفها أو تمكنت من القيء بنفسها وكثيراً ما شوهد أنَّ الطيور والحيوانات، إذا ما أصاب أحد قوائمها خلع أو كسر، بترت هذا العضو المكسور بنفسها فوراً فتشفي حالاً. هذا ويعرف أهل الغابات أن دجاج الأرض إذا انكسرت ساقه، يتخد له جبيرة من الطين، وقد يقويها بعض ما يجده من ألياف. وكلنا نرى الطيور وهي تنطف منقارها في الحائط أو الأغصان وإذا صادفك نسر بعد أن يكون قد تناول غذاءه، لتعجب حينما تراه يكرر تنقية منقاره وتنظيفه أكثر من مرة. و تستحم الطيور والحيوانات في مواقف معيّنة لا تحيد عنها أبداً، وقد عرف أنها تستحم لا لتنظيف أبدانها فقط، بل للتجدد نشاطها. وإذا كان هذا هو ما يحاوله الكائن الحي للمحافظة على نفسه، فإن هناك العديد من الأدلة، على أنَّ النوع نفسه يتخد من ضروب الحيطة والحذر للمحافظة على أفراده، ما يجعل الإنسان يؤمن بوجود قوة علوية ترعى كافة الكائنات على اختلاف أنواعها. فكل الحيوانات والطيور التي تسير في هيئة جماعات، تتخذ من بعض أفرادها خفراء يحرسونها، وأدلة يعرفونها الطريق. وليس ذلك عن مصادفة بل عن قصد وتدبير، فإنَّ الفيلة في الغابات، لا تسير فرادى إطلاقاً إلا الأفراد الذين حكم عليهم بالشروع وجماعة الفيلة يتقدمها دليلها إلى الماء أو الغذاء. وأسراب الطيور في سيرها، يحرسها أكبر ذكورها، ويسير في مؤخرتها

ضعاً فيها ، بينما الطباء تسير حراسمها في الخلف لأنَّ الذئب وهو أخطر الحيوانات عليها لا يهاجم القطط إلا من خلفه . و تظهر قافلة الاكتشاف واضحة في الجراد ، فإنَّ المقدمة التي تسير لتكشف الطريق لا تزيد على بضعة أفراد وهذه تكون إنذاراً بسراب الجراد الذي قد يغطي مساحة ألفي ميل مربع . المصدر: مجلة الرياحين / العدد 63 لسنة 1432هـ